باب اللَّبُؤَةِ والإسْوَارِ والشَّغْبَر[1]

قالَ دَبْشَليمُ المَلِكُ لِبَيْدَبا الفيْلَسوف: قدْ سَمِعْتُ هذا المثَلَ فاضرِبْ لي مثَلاً في شأنِ مَنْ يَدَعُ ضَرَّ غيرِهِ إذا قَدَرَ عليه بما يُصيبُهُ منَ الضرَر ويكونُ لهُ فيما يَنزِلُ بهِ واعِظٌ وزَاجِرٌ عنِ ارْتِكابِ الظلْمِ والعَداوَةِ لغيرِه.

قال الفَيْلَسُوفُ: إنهُ لاَ يُقْدِمُ على طلَبِ ما يَضُرُّ بالنَّاسِ وما يَسُوؤُهُمْ إلاَّ أهلُ الجَهالةِ والسَّفَهِ وسوءِ النَّظَرِ في العواقبِ منْ أمورِ الدُّنْيا والآخرةِ، وقلةِ العِلمِ بما يَدْخُلُ عليهمْ في ذلكَ منْ حُلولِ النِّقْمَةِ وبما يَلْزمُهمْ منْ تَبعَةِ ما اكتَسَبوا ممَّا لا تُحِيطُ بهِ العقُولُ، وإنْ سَلِمَ بعضُهمْ منْ ضرَرِ بعْضٍ بِمَنِيَّةٍ عَرَضتْ لهُ قبْلَ أنْ يَنْزِلَ بهِ وَبَالُ ما صَنَعَ، فإنّ مَنْ لمْ يُفكِّرْ في العَواقِبِ لمْ يأمَنِ المَصائبَ وحَقِيقٌ ألاَّ يَسْلَمَ منَ المَعاطِبِ، وربما اتَّعَظَ الجاهلُ واعتَبَرَ بما يُصيبُهُ منَ المَضَرَّةِ منَ الغيرِ فارْتَدَعَ عَنْ أنْ يَغْشَى[2] أحداً بِمثلِ ذلكَ منَ الظُّلْمِ والعُدْوانِ وحصَلَ نَفْعُ ما كَفَّ عنهُ منْ ضرَرِه لغيرِه في الْعاقبةِ. فنَظيرُ ذلكَ حديثُ اللَّبُؤَةِ والإسْوارِ والشَّغْبَرِ. قال الملكُ: وكيْفَ كانَ ذلك؟

قال الفيلسُوفُ: زَعموا أنَّ لَبُؤَةً كانتْ في غَيْضَةٍ[3] ولها شبْلاَنِ وأنها خَرَجَتْ في طلَبِ الصَّيْدِ وخَلَّفَتْهُما في كَهْفِهما، فَمرَّ بهما إسْوَارٌ فَحمَلَ

---

(١) اللبؤة بضم الباء: الأنثى من الأسود. والأسوار بالكسر والضم: الجيد الرمي بالسهام.. والشغبر كما في القاموس: ابن آوى.

(٢) غشي: أتى.

(٣) غيضة: غابة ذات شجرة كثيف.

عليهما ورَماهُما فقتلَهُما وسَلَخَ جِلْدَيْهما فاحْتَقَبَهُما[١] وانصرَفَ بهما إلى منزِله، ثمَّ إنها رجَعَتْ فلمَّا رأتْ ما حَلَّ بهما منَ الأمرِ الفَظيعِ اضطَرَبَتْ ظَهْراً لبَطْنٍ وصاحَتْ، وكان إلى جَنْبِها شَغْبَرٌ فلمَّا سَمِعَ ذلكَ منْ صِياحِها قالَ لها: ما هذا الذِي تصْنَعينَ وما نزَلَ بكِ فأخبرِيني بهِ. قالتِ اللَّبُؤَةُ: شِبْلايَ مَرَّ بهما إِسْوَارٌ فقتلَهُما وسَلَخَ جِلْدَيهِما فاحْتَقَبَهُما ونَبَذَهُما بالعَرَاءِ[٢] قالَ لها الشَّغْبَرُ: لا تَضِجّي وأنْصِفي منْ نفْسِكِ، واعلَمي أنَّ هذا الإِسْوَارَ لمْ يأتِ إليْكَ شيئاً إلاَّ وقدْ كنْتِ تَفْعَلينَ بغيرِكِ مثلَهُ وتأتِينَ إلى غيرِ واحدٍ مثْلَ ذلكَ ممَّنْ كانَ يَجِدُ بِحَمِيمهِ[٣] ومَنْ يَعِزُّ عليهِ مثلُ ما تَجِدِينَ بِشِبْلَيْكِ فاصبِري على فِعْلِ غيرِكِ كما صَبَرَ غيرُكِ عليهِ منْكِ، فإنهُ قَدْ قيلَ كما تَدِين تُدَانُ ولكلِّ عمَلٍ ثمرَةٌ منَ الثوابِ والعِقابِ وهُما على قَدَرِهِ في الكثرَةِ والقِلَّةِ كالزَّرْعِ إذا حضَرَ الحَصَادُ أعْطَى على حسَبِ بِذْرِهِ.

قالتِ اللَّبُؤَةُ: بيِّنْ لي ما تقُولُ وأفْصِحْ لي عنْ إشارَتِهِ، قال الشَّغْبَرُ: كمْ أتى لكِ منَ العُمْرِ؟ قالتِ اللَّبُؤَةُ: مائةُ سنةٍ. قال الشّغبرُ: ما كانَ قُوتُكِ؟ قالتِ اللبؤةُ: لحمُ الوَحْشِ. قال الشَّغبرُ: مَنْ كانَ يُطْعِمُكِ إِيَّاهُ؟ قالتِ اللَّبُؤَةُ: كنْتُ أصِيدُ الوَحْشَ وآكُلُه. قال الشّغْبرُ: أرأيْتِ الوُحوشَ التي كنتِ تأكُلينَ أمَا كانَ لها آباءُ وأمَّاتٌ؟ قالتْ: بَلى. قال الشّغْبَرُ: فَما بالِي لا أرَى ولا أسْمَعُ لتلْكَ الآباءِ والأُمَّاتِ من الجَزَعِ والضّجيجِ ما أرَى وأسْمَعُ لك؟ أمَا إنهُ لمْ يَنزِلْ بكِ ما نَزَلَ إلاّ لسُوءِ نظَرِكِ في العواقبِ وقلةِ تَفكُّرِكِ فيها وجَهالتِكِ بما يَرْجعُ عليْكِ منْ ضَرِّها.

فلمَّا سَمِعَتِ اللَّبُؤَةُ ذلكَ منْ كلامِ الشَّغْبَر عَرَفَتْ أنَّ ذلكَ ممَّا جنَتْ على نفْسها وأنّ عملها كانَ جَوْراً وظُلْماً، فتَرَكَتِ الصَّيْدَ وانصرَفَتْ عنْ أكلِ

(١) احتقبهما: حملهما.
(٢) نبذهما بالعراء: ألقاهما في الفضاء.
(٣) الحميم: القريب.

اللحْمِ إلى أكْلِ الثِّمارِ والنُّسُكِ والعِبادةِ. فلمَّا رَأى ذلكَ الوَرَشَانُ[١] وكانَ صاحبَ تلْك الغَيْضَةِ وكانَ عيْشُهُ منَ الثِّمارِ قالَ لها: قدْ كنْتُ أظُنُّ أنَّ الشَّجَرَ عامَنا هذا لمْ يَحْمِلْ لِقلَّةِ الماءِ، فلمَّا أبْصَرْتُكِ تأكُلِينَها وأنتِ آكِلَةُ اللَّحْمِ فتَرَكْتِ رِزْقَكِ وطِعامَكِ وما قَسَمَ اللهُ لكِ وتَحَوَّلْتِ إلى رِزْقِ غيرِكِ فانْتَقَصْتِهِ ودَخَلْتِ عليهِ فيه، عَلِمْتُ أنّ الشجَر الْعامَ أثْمَرَتْ كما كانتْ تُثْمِرُ قبْلَ اليوْمِ وإنَّما أتَتْ قِلةُ الثَّمَرِ منْ جهَتِكِ، فوَيْلٌ للشجَرِ ووَيْل للثِّمارِ ووَيْلٌ لمنْ عيْشُهمْ منها ما أسرَعَ هلاَكَهُمْ إذا دَخَلَ عليهمْ في أرْزاقِهمْ وغلَبَهُمْ عليْها مَنْ ليْسَ لهُ فيها حظ ولمْ يكُنْ مُعْتاداً لأكلِها! فلمَّا سَمِعَتِ اللَّبؤةُ ذلكَ منْ كلامِ الوَرَشانِ تَرَكتْ أكْلَ الثَّمارِ وأقْبلَتْ على أكْلِ الحشيشِ والعِبادَةِ.

وإنما ضَرَبْتُ لكَ هذا المثلَ لِتَعْلَمَ أنّ الجاهلَ ربُما انصَرَفَ بضَرٍّ يُصيبُهُ عنْ ضَرِّ النّاسِ كاللّبؤةِ التي انْصَرَفتْ لِما لَقِيَتْ في شَبْلَيْها عنْ أكْل اللحْمِ ثمّ عنْ أكل الثِّمارِ بقوْلِ الوَرَشانِ وأقْبلَتْ على النُّسُكِ والعِبادَةِ.

والنَّاسُ أحَقُّ بحُسْنِ النظرِ في ذلكَ فإنهُ قدْ قيلَ: مالاَ ترْضاهُ لنفْسِكَ لا تَصْنَعْهُ لغيرِكَ... فإنّ في ذلكَ العَدْلَ وفي العدْلِ رِضا اللهِ تعالى ورِضا النّاسِ.

(١) الوَرَشَان: طائر وجمعه: وِرْشان: بتغيير حركتي الواو والراء.